أخلاق عرب الروله وعاداتهم

(١٨٦٨ - ١٩٤٤م)

للمستشرق التشيكوسلوفاكي ألويس موزل

ترجمة الدكتور محمد بن سليمان السديس

بنيَةُ المُجْتَمَع(*)

• حضرٌ وبَدْو •

يقسم الروِلة البشر إلى : « حَضَر »، أى أولئك الذين يسكنون بيوتاً ثابتة، و« عرب »، أى أولئك الذين يسكنون بيوت شَعرٍ قابلةً للنقل، لذلك فإن « العربي »، هو الاسم الذي يطلق في أنحاء الصحراء كافةً على ساكني الخيمة السوداء دون غيرهم. وتستخدم عبارة « عَرَبْنا رَحَلوْا، عَرَبْنا نَزَلوْا » للإشارة إلى أفراد العشيرة الواحدة. و« **عرب القبيلة** » هم أفراد القبيلة الواحدة؛ و« **عرب الدِّيَره** »هو الاسم العام للبدو الذين يستوطنون المناطق المزروعة، وعلى تخومها، بغض النظر عن القبيلة التي ينتمون إليها.

وتعبر كلمة « **عُرْبان** » عن الانتماء لعشائر أو قبائل شتى. فعبارة : « **عُرْبانْ على ضَمِير** » مثلاً تعنى أن ثمة أفراداً من عشائر وقبائل شتى يخيمون في ضواحى (**ضَمِير**). وإذا قابل الرعاة أو الصيادون بدوِّياً غير معروف في منطقتهم سألوه : « **إنتْ من اَيِنْ يا ولد ؟** » أى : من أى قبيلة أنت أيها الرجل ؟ فإن قال : « **من هَالْعرب** » أى : من هؤلاء العرب. سألوه : « **فاهمين اَنَّك من العربْ مارْ مِنْ اَىَّ العُرْبان ؟** » أى : نعلم أنك من العرب، لكن من أي قبائل (**العربان**) المختلفة ؟.

ويقسِّم قاطنو المنازل (الحَضَر) إلى : (**قَرَاوْنَه ـ ويعرف الواحد كقَرْواني**)، أى أولئك الذين لا يبرحون مسكنهم الدائم أبداً؛ و(**رَعْو**) أو (**رَعيْه**)، أى أولئك الذين يستبدلون بمساكنهم الثابتةِ أثناءَ موسمِ الأمطارِ بيوتَ شَعْرٍ قابلةً للنقل.

ويعد بذر المحاصيل في الخريف يبرح الرَّعو أو الرَّعِيَّة قراهم، ويممون بقطعان أغنامهم ومعزهم صوب السهوب، حيث يقطنون في بيوت الشُّعر السود المنسوجة من شعر المعز، وفي الخيام الرمادية المنسوجة من القطن. وفي أواخر أبريل ومايو، حين يدنو آوان الحصاد، يقفلون راجعين من السهوب إلى مساكنهم.

ويتألف (العرب) من البدو و (**الشّوايا**) أو (**الشُّويان**). وللشوايا شيئان أسودان « **لِمْ سْوَادين** » : بيوُت الشعر السود المنسوجة من شعر المعز، والقطعان والسود من ضأن ومعز. وهذه القطعان لا تمكنهم من التوغل داخل الصحراء « **ما يشرِّقون**) فتقصر إقامتهم على الأراضي ذات الماء الوفير، والتي تنمو فيها الأشجار الحولية كل عام. وهم يخيمون على شفا الصحراء، ولذا يعرفون بـ « **رُخْمِ الدِّيره** » أى : أقارب (سكان) البلد المأهول. ولا يقومون بغزوات مكثفة (**غزو**)، ويسلِّمون للبدو، على اختلافهم، بالتفوق، ويدفعون لهم إتاوة (**خاوَة**) لحمايتهم.

والبدو عرب يربون الإبل دون غيرها من الحيوان، أو في الأقل بشكل رئيسٍ ، ويمكثون داخل الصحراء مدة عشرة أشهر (**يِشَرِّقون**)، وينقلون في آخر يونية إلى حافة الصحراء (**يغرِّبون**)، ويسكنون بين القوم المستقرين حتى منتصف أغسطس، أو بداية سبتمبر، فيتزودون بالقمح والألبسة والأسلحة، ثم يعودون إلى الصحراء.

وفي حافة الصحراء تلاحَظُ زيادة السكان المستمرة، أو نقصهم المستمر. وإن ضمنت الحكومة لسكان المدن والقرى أمناً تامّاً للحياة والممتلكات حُوِّل رعاة المَعْز والضأن مزارعين نشطين، فيبنون الأكواخ في كل صوب، وتظهر قرى صغيرةٌ للوجود، ويمسي الرَّعْو والشوايا أناساً مستقرين مسالمين. . فيكلون الاعتناء بمعزهم وأغنامهم إلى عشائر بدوية مختلفة، لا تعود إلى الصحراء، بل تظل في الحد بين القرى والمستوطنات والتي تتحول إلى شوايا.

وإن لم يكن ثمة حكومة قوية في الأقاليم المأهولة اختفى الأمن على الحياة والممتلكات، وتلا ذلك نقص في عدد السكان، واستبدل بالمنزل الثابت بيت شعر قابل للنقل، وغدا الفلاحون

شْوايا. وعلى أية حال، لا يصبح القوم الذين سبق أن استقروا بدواً حقيقيين أبداً. لأن البدو الحقيقيين لا يعاملونهم على قدم المساواة معهم أبداً. ومن هنا فإن لفظ (**بدوى**) أضيق كثيراً من لفظ (**عربي**).

وليس سكان شبه الجزيرة العربية جميعاً، في رأى الرولة، عرباً حقيقيين، بل العرب هم أولئك الذين يتخذون من البيوت القابلة للنقل سكناً وحسب. ولكن ما العرب جميعاً ببدو. بل البدو هم أولئك الذين يقضون معظم العام في جوف الفلاة، ويقومون بتربية الإبل في الغالب، دون غيرها.

وتعترف القبائل كلها بأن الرولةَ بدوٌ حقيقيون. وخالصون إنهم : « **بَعِيدين الظَّعْنَهْ، واسِعِين الطَّعْنَهْ** » أى : بعيدو الظعنه. . واسعو الطعنه. يعنى : إذا ظَعنوا وَصِلوا إلى ديار نائية، وإذا طعنوا أصابوا ممن يطعنونه مقتلاً(٢). وهم : « **أهْل السِّنانْ والعِنان** » أى : أهل الرماح والخيل. . فهم محاربون على صهوات جيادهم لقدرتهم على حمل الرماح، والتحكم في الخيل.

• قرابَة الدَّم •

بنو العمّ

ينتمى الرولة لتلك المجموعة الكبيرة من القبائل المسماة بـ (**غْنِزه**) المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة كلها تقريباً، والتي تنقسم إلى فرعين جنوبيٍّ وشماليّ. وتؤلِّف غْنِزه الجنوبية القبائل التي ينتمي إليها آل أبا الخيل، وابن صَباح، وابن سعود، وعشائر شتى من قحطان والمِنْتِفِق. أما غْنِزه الشمالية فهم : ضنا مُسلم، وضنا بِشْر. وتشمل العشيرة الأخيرة : السَّبْعَة، والفدعان، والعَمَارات، كما تشمل الأولى : وِلْد عَلي، والرَّوَلَة الذين يعرفون أيضا بـ (**آل جْلاس**).

ولا يُضْفَى حق (ابن العم) إلا على القرابة من جانب الأب. وكثيراً ما تسمع العبارة : « **مَنْ قَدِيمْ جِدِّهْ ما هو اِبن عَمّ كيفْ يِصِيرْ لِنا اِبن عَمّ**) أى : لم يك جدُّه قديماً ابن عم لنا، فكيف يصير هو لنا ابْنَ عمٍّ. ؛ أو : « **بِنِي صَخَرْ أغلى لْنِا مِنْ العَمارَات، ولْكن بِالقُرْبَهْ هَذُول أقرب لنا من هَذُولَك، بِنِي صَخَر أجناب مالِنا ولْهُمْ جِدٍّ واحد** » أى : بنو صخرٍ أحب إلينا من

العمارات، لكن من حيث القرابة، هؤلاء أقرب إلينا من أولئك. بنو صخرٍ أجانب ليس لنا وإياهم جد واحد ».

نزل ضبيعان بن خشمان السرحاني مع الرّوَلة طوال ما ينوف عن ثلاثين عاماً (في سنة ١٩٠٩ م). وتزوج امرأة (رويلية)[٣]، وتزوجت أخته (مها) الأمير سطام الذي أنجبت له ابناً هو (طْراد).

وكان ضبيعان يشترك مع الرولة في الغارات الحربية، ويرتدي زيهم، ويتحدث أبناؤه كما يتحدث الروله، ومع ذلك فقد بَقُوا منتمين للسرحان. وما يؤلف (**الأهْلَ**) هم الأعمام (**العَمَام**) لا الأخوال. (**الخَوَال**). ولو قتل أحدُ أبناءِ ضبيعان أحدَ الرولة لَلَجأ الابن إلى (**أهْلِه**) السِّرحان؛ ولابد من أن يقتص لدم الرُّوَيْليِّ بدم رجلٍ سرحانيّ.

وغالباً ما يُحتاج إلى الأقارب من طرف الأب أكثر من الاحتياج إلى الأقارب من طرف الأم : « **عَمَامِهْ أَلْزَمْ مِنْ خَوَالِهْ** » ـ « **عَمَامِهْ عَصَبَهْ وخَوَالِهْ أرحام** »[٤].

ويُحظر بين من يربطهم دم القرابة (**أبناء العم**) ربط اللص الأسير ، « **ما عليه الرّباط** »، أو الإغارة بعد منتصف الليل، أو قبل شروق الشمس مباشرة الذي هو أطيب وقتٍ للراحة « **ممنوعْ عليهم البِياتْ والصَّباحْ** ». والدية محددة بخمسين بعيراً، وفرسٍ ، ومعداتِ أسلحةٍ.

وتُمْنح العشائر التي لا تَمُتُّ إلى القبيلة بوشيجة الدم، والتي يعود أصلها إلى أجداد مختلفين تماماً، قرابة الدم (**بني العم**) أحياناً إذا رغب الشيوخ. فإذا كان شيخا قبيلتين لا قرابة بينهما، أى أن كلا منهما (**برّاني**) أو (**أجنبي**) عن الآخر، لكنهما متحابّان، أعلنا أن كلا منهما سيمنح الآخر حق القرابة (**حق البِني عم**) أو (**حق البِنْعَمّ**) قائلَيْنِ : **بيننا وبينكم صداقة البِنْعم سْواة البنيعم** » أي : بيننا وبينكم صداقة ابن العم لابن عمه. وعليه يكون واجبُهما حماية جارٍ (**قِصِيرْ**) كلٍّ منهما وضيفِهِ، ورفيقَةُ في السفر (**خَوِيّهْ**)، حتى وإن كان عدوهما الحقيقي. كما أن واجب كل منهما إطلاع الآخر على حركات الأقوام المعادين. ولا قيمة، في الواقع، لمثل هذه الصداقة إن لم يلتزم بها الشيوخ. [**إنما تكون**] « **بِصْيلحْ الحَكِي من غير مَنْفَعَه** ». وإن قَتَل أحد أفراد هاتين القبيلتين رجلاً من القبيلة الأخرى لم يدفع الدية التي يبلغ قدرها خمسين بعيراً، كما هي العادة مع (**بني عَمّه**) الحقيقيين، لكنه يدفع سبعاً وحسب، كما في حال القبائل التي لا قرابة بينها (**أجناب**). إن قُبض على لصٍّ من مثل هذه القبيلة فيجوز تقييده. وأكثر من ذلك يجوز مهاجمة مثل هذه القبيلة بعد منتصف الليل، وهو أمر محظور مع (**بني العم**) الحقيقيين.

• آل وأهل •

يقول الروله إن قبيلتهم تعرف بـ (**قبيلة**) أو (**بِديِدة**) أو (**عشيرة**) الرّوله. ولكلمة (**عشيرة**) معنى (**بِديِده**) أو (**قبيلة**) نفسُه. ويشار إلى العشيرة، وأحياناً إلى الأسرة، بكلمة (**آل**) التى غالباً ما بدلت بها الأداة (**أل**)، مع أن كل رويلى يعرف معنى الكلمة الأولى؛ وتدل كلمة (**أل**) عموماً على ماتدل عليه(**بِني**) أو (**اِبن**)، ومعناها أوسع من معنى (**أهل**). ومعناها أوسع من معنى (**أهل**).

و(**فِرِيق**) هو الاسم الذي يطلق على جماعة من الأقرباء الذين ينحدرون من جدٍّ واحد. و(**الفريق**) أوسع أيضاً من (**الأهل**).

و(**الأهل**) جماعة محددة بالنسبة للفرد وحسب، فأهل الرجل يختلفون عن أهالِي أبيه أو ابنه (**مع أن الأهالي الثلاثة في هذه الحالة يضمون أفراداً كثيرين مشتركين**). ويؤلِّف أهل الرجل خَلَفُهُ حتى الجيل الثالث ـ أى أبناؤه أو احفاده وأحفاد أبنائه ـ ويتضمون أيضاً سَلَفَه حتى الجيل الثالث ـ أى أباه وجدَّه وجدَّ أبيه ـ، ومن ينحدرون من هؤلاء الأسلاف حتى الجيل الثالث من كلٍّ.

والنسب معدودٌ عبر سلسلة الذكور وحسب. وإن أبعد الفروع التابعة لـ (**أهل**) المرء هم أبناءُ ابنِ عمِّ أبيه.

وثمة طريقة ميسرة لتقرر فيما إذا كان (**س** » من الأهل نفسهم الذين منهم « **ي** » هي أن تعد من « **س** »حتى الجد المشترك لكل من « **س** » و« **ي** »، ومن هناك تبدأ في العد التنازلِي لـ « **ي** ». سيكون « **س** »و « **ي** » من (**الأهل**) نفسهم شريطة ألا يُعَدَّ بين « **س** » و« **ي** » أكثر من ثلاثة أجيال أيضاً.

وتفسِّر فكرة (**الأهل**) هذه معرفة البدوى بِجدِّ أبيه، في حينِ من المرجح أن يكون على جهل تامٍّ بِجَدِّ جَدِّه.

وقد أخبرني رفيقي بْلَيِهان بالإيضاح التالي لأهْلِه هو : « أنا ابن ضِرِي الذي انحدر من مِضْرِب. خَلَّف (**ضِرِي**) داغراً وصالحاً. وخلف داغرٌ إبراهيم و(**بَغْرِي**). وإبراهيم أبي خلَّفني، أى بليهان، وجِيعانَ، وعَشْوان، بينما كان أبناء بَغْرِي هم : دَفْران، وراشد،

ومِرْشِد. وأبناء صالح هم : نِدِي، وجْلَيِدان. خَلَّف نِدِي (**نِيَتول**) وذْياب، وكان لجليدان (**نِجِيبْ**) و(**صيّاح**). كل هؤلاء أقاربي. . أهلي. . ولا أحد غيرهم. وصل (**أهل**) أبي إلى الوراء حتى نَصّارُ أبي ضِرِي وعبد الله، ولكني لا أحْفِلُ بذرية عبد الله بتاتاً، فلن يدافعوا عني، ولن أدافع عنهم ».

ولم يعرف بليهان أي شيء عن أبي نصارٍ خلا أنه ينحدر من أهل مِصْرِب، ولذلك عُرف بابن مِصْرب، وأن له أخاً اسمه (**معروف**). لكن لا بليهان ولا أي من أهله استطاع معرفة عدد الأجيال بينه وبين مِصْرِب. كان بليهان يعدُّ نفسه بعيداً من ابن دِفْران بثلاث درجات، (**أي بـ ١ = أبيه، ٢ = جدِّه، ٣ = عمِّه**)، وعلى نحو شبيه بذلك، كان يعدُّ نفسه بعيداً بخمس درجات من ابن عمه غير المباشر (**نجيب**).

وكلما كبر الرجل اتسعت دائرة أقاربه، شريطة أن يخلّف أبناء، بطبيعة الحال، لأن (**أهله**) عندئذٍ لا يؤلفون أباه وجدَّه، إن كانا حَيَّيْنِ، وفروعَهُ وحسب، بل أبناءه وأحفاده أيضاً.

و (**أهل**) الرويليّ يحمونه من الجور، كما ينالهم أذى ما يرتكبه من جرم. ومثل هذه القرابة العرقية يعرف أيضاً بـ (**أهل**). وهذا الممثل، أى (**الأهل**) بمدلول الكلمة الضيق، يعنى عادةً إما الأبَ أو العمَّ، أو الأخ الأكبر.

كان لسعود ابنِ الأمير النورِي بيتُه الخاصّ به. ولم يكن إذا قال : « **سأذهب إلى أهلى** » يدخل ذلك البيت أبداً، بلَ بيت أبيه الأمير النوري. وإن لم يكن الأخير حاضراً أسرع إلى أخيه الأكبر نواف.

والإعلان الجادّ بأن شخصاً ما قد قُبل في (**الأهل**) الفلانيٍّ قد يحل محل قرابة الدم.

و(**أهل البيت**) تعنى : امرأة صاحب البيت، أو امرأة أخيه، لكون البيت بكل من فيه تحت إمرتها. وترادفها عبارة (**راعْيةْ البيت**) أى : سيدة البيت. ويدعو الضيفُ (**أهل البيت**) إن أراد لحافاً لفراشه. ويدعو البدوي الذي يقطن بيتاً له زوجَهُ (أهلَ البيت) و(**أهل بيتي**) أو (**راعية بيتي**). وإن كان له أطفال فإنهم تابعون أيضاً لـ (**أهل البيت**). ولا تدعو الزوجة زوجها أبداً (**أهل البيت**) أو (**أهل بيتي**)، بل (**راعى البيت**) أو (**راعى بيتنا**) : رب الدار، ربُّ دارنا. وإن كان لها صغير فإنها تدعو زوجها (**أبو فلان**). وطالما كان الرويلي يقيم

في بيت أبيه فَمُحالٌ أن يتكلم عن (**أهل بيته**)، ولو كان متـزوجاً ولـه أطفال، فهـو ومن يعول يتبعون أسرة (**أهل**) أبيه. وإن توفي الأبُ وظل أبناؤه وأسرهم في بيتـه عُرِف ببيت أبنـاء فلان (**بيت عُيال فلان**)، أو بيت أمِّهم إن كانت على قيد الحياة. و(**أهل البيت**) في مثل هذه الحالة إما أن تكون الأم العجوز، أو زوجُ أحد الإخوة المسؤولةُ عن البيت. وإن لم تستـطع زوجُ الأخ الأكبرِ الانسجامَ مع أزواجِ الإخوةِ الآخرين قال لها زوجها : « من الآن فصاعداً ستمكثين في هذه الزاوية، وستكون فلانة « **أهل البيت** » أو « **راعية البيت** ». و(**أهـل البيت**) عند الـرّوَلَه تطابق (**العيله**) عند القبائل الأخرى.

وتعنى كلمة (**أهل**)، في مدلولها الأوسع، القبائل المتميزة، والتي تتوحد، في الغالب، من أجل تأمين الحماية المشتركة لنفسها. وعلى هذا يمكن التحدث عن (**أهل الجبِـل**)، وهي عبارة يُفْهَمُ منها، القبائل المتفرقة ذات الأصول المختلفة، التي تخيم في الأجزاء الشرقية والجنـوبية من سلسلة جبال حوران.

و(**أهْل الدِّيرِهْ**) هم سكان القرى المختلفة الذين لا يبرحون أرضهم البتة، فـأهالي الكِـرَك هم القبائل المختلفة التي تؤلف سكان مدينة الكرك، وهكذا.

و(**العَيله**) تعني : « الأسرة التي لها مسكن ومـوقد مستقـل ». « **العَيِلهْ أهْل الجْـدَارْ والنّارْ** ». وأي رجل مستقر، لـه مسكن خاص بـه، وفيه زوج تـطبخ لـه الطعـام، يقال إن لـه (عيله). ويستدل الرولة بكلمة (ذريـة) كلمة (صنّتـا) التى تدل عـلى الأشخاص المنحـدرين من أرومةٍ واحدة انحداراً بعيداً جدّاً، بغضِّ النظر عما إذا كانوا قد انحدورا حقيقةً من جدٍّ واحـدٍ، أو أن القرابة كانت ثمرَة تَبَنٍّ.

• الشيوخ •

تعنى كلمة (**قُوم**): « **البـدوَ الذين يحكمهم شيـخ** ». لذلـك لك أن تقـول : « **قُوم اِبنْ شَعْلان** » أى : هو من قوم ابنْ شَعلان؛ ـ « **قُـوم اِبنْ مِعْجِل مخيِمـون هنا لـك** »؛ ـ « **قُوم اِبنْ جَنْدَل اشتركوا في الغارة أيضاً** » لكنك لن تسمع أبداً عبارة : « **أولئك (قُـوم) الرّوَلـه** » أو : « **إنه ينحدر من (قُوم) الفْرِجَهْ** ».

وإذا تحدث الأمير ابن شعلان عن « جماعتي »، ففي ذهنه مختلف العشائر التي تلبي أوامره، وتهب لعونه (يِفْزَعُون). وتكاد كلمة (جماعة) تعني ما تعنيه كلمة (قَوم).

ورتبة الشيخ وراثية في أسرة محددة (آل). ومن المعتاد أن يكون الشيخ المعترف به هو الفرد الأنسب جسماً وعقلاً، وليس ضربة لازبٍ أن يكون أكبر أفراد الأسرة الحاكمة سناً. وتستمر الأسر الحاكمة عند العشائر والقبائل حاكمة حتى تنقرض، مع أن سلطتها قد تَهِنُ وَهْناً شديداً، وقد تتخلى عنها عشائر عديدة. ويطاح بالشيخ العامِّ، أو الأمير الذي يمثل قبيلةً برمتها، أو عدداً من القبائل، والذي يخضع له الشيوخ الآخرون طوعاً أو كَرهاً، أسرعَ مما يطاح بالشيخ العادي، وتتحول رتبته إلى عشيرة أخرى، وأكثر ما يجري ذلك إذا لم يتميز الشيخ العامُّ وارثُ الرئاسةِ بمقدره حربية. . فيدير، عندئذٍ، شؤون قبيلته الخارجية بصفته (**شيخ الباب**)، في حين توكل أمور الحرب إلى رجل معروف بالإقدام وحصافة الرأى، وإن كان من عشيرة أخرى. ويعرف مثل هذا الشيخ بـ (**شيخ الشْدَاد**) أو (**شيخ الحرب**). وإن أفلح في قهر العدو، وتوصل إلى فرض سلامٍ لصالح القبيلة انضمت إليه عشائر أخرى عدة تطيعه في زمن السلم، ثم تتبع ذلك حروب يخضع فيها الشيخ العام الوارث، وتعترف أسرته بتفوق الحاكم العسكرى السابق، الذي يضحى إذ ذاك (**شيخ الباب**) أيضاً.

• تقاليد تتعلق بشيوخ الرْوَلَه •

كان الشيخُ العامُّ للرْوَلَه كلهم ينحدر، طبقاً للعرف، من عشيرة القَعْقَعَه. وكان شَعْلانُ ابناً لأبوين وجيهين. ومع أنه لم يكُ يملك لنفسه من قطمير، فقد كان مسؤولا عن رعاة عشيرة آل مُرْعَظ بصفة (فداوى) أى : خادم حرٌ. وكانت القطعان ترعي في ضواحي إحدى المستوطنات في نجد. وذات مرة، نَهَب القَعْقعة قطعانَ الضأن والمَعْز من الحَضْرِ، وساقوا إبلهم عبر حقولهم. فانطلق الحضرُ نحو إبلِ القوم ومَضَوْا بها، وخبَّؤوها في بساتين النخيل المسوَّرة. فأحاط الرْوَلَة بالمتسوطنة، لكنهم لم يتمكنوا من تحطيم وسائل الدفاع، وهدد الحضرُ الرْوَلَة بأن الأباعَر المحتجزةَ ستَنْفَق جوعاً إن لم يرفعوا الحصار. لذلك جنح شيخُ الرولة العامُّ للسِّلم، وعرِض الصلح على أكبرِ الحَضْرِ سنًا. فأعلن الشيخ أنه لن يباحث في الأمر أحداً سوى « شَعْلان » الذي كان يعرفه، ولن يُخَلِّي سبيل الأباعرِ إلا له. فدعا الشيخُ العامُّ شعلان له، وقال :

- إن صديقَك، كبيرَ الحَضْر، لن يخلّيَ سبيلَ الإبل إلا لك، فامْضِ إليه واتفق معه باسمى.
- أنت شيخنا، ولك الأمر، ولك الرأى.
- إمضِيَنْ إليه عاجلًا، واتَّفِقَنْ معه باسمي !
- لن تنفذوا ما أبْرِمْهُ معه من اتفاق !
- سَنُنَفِّذَنَّه !
- أَسَتُعيدون إلى الحَضْرِ الشاءَ والمَعْزَ التي استوليتم عليها ؟
- نعم سنعيدها !
- فلتبعث ممثلى عشيرتَيْ الفْرِجهْ والرِّبشان ليتكفلوا بذلك.
- أنا، فلان، أضمن بأن الفْرجة لن يسمحوا بأن يُقطع للحضْرِ خيطٌ واحدٌ !.
- أنا، فلان، أضمن بأن الرِّبشان له يسمحوا بأن يُقطع للحضر خيطٌ واحدٌ !.
- حسناً (زِينْ). أعطنى الآن خَتَمك !
- لأى شيءٍ تريده ؟
- كيف أستطيع أن أَسَوِّيَ أي أمرٍ باسمك بدون خَتَمِك ؟

ناشد ممثلو (**الْفرِجهْ**) و (**الرِّبشان**) الشيخ بأن يسلم شعلان الخَتَم، وتم ذلك ؛ فذهب شعلان إلى الرجل، وتوصل معه إلى اتفاقٍ أعاد الحضر بموجبه الأباعر المحتجزة (**أدُوْا النواقص**)، وتسلموا ضأنهم ومَعِزهم، وتخلَّوا عن المطالبة بالتعويض عن القمح الذي أفسد.

وأثنى الجميع على شَعْلان، وقالوا : إنه لرجلٌ شهم (**صاحب المَرْجَله**).

و(**صاحب المَرْجَله**) يجب أن يكون ذا قلبٍ جرىءٍ (**قلبه قاوى**)، وأن يكون له عقل حادّ الذكاء ليتغلب على الصعاب (**راعي فِتِل**)، وأن تكون له دارية بالأمور واسعةٌ (**لهْ عِرْف**)، وأن يكون بعيد النظرة في المستقبل (**شُوفتِهْ بَعيدِه**)، وأن يتحلى بالأناة والصبر (**له صَبِر**).

ظل شَعْلان في المستوطنة، ولم يُعدِ الخَتَم للشيخ العام، وآزره الحَضْرُ والفْرِجهْ والرِّبْشان. وبعد أربع سنوات أطاح بالشيخ العام، وتولى هو قيادة مصير الرولة عن بكرة أبيهم.

وقد تلا ذلك صراعٌ على الأحقية بالرئاسة بين الشيخ العام (**ابن شعلان**) ورْوَلَتِهِ، وبين

الشَّرِيفي شيخ الكواكْبِه، وهم من فخذ قَحطَان من عَنَـزِه. وكان الكـواكْبِه أصـلاً مستقرين في نجد. وتقدموا تحت إمرة شيخهم الشَّرِيفي إلى أراضي الروله، وضربـوا بيوتهم إلى الشـرق من الجـوف. وأرادوا التمتع بـالاستقلال التـام (**العَمَال والقَـوَال هُم**)، لكن الـرولـة أعلنـوا أن عليهم إما الخضوع لسلطتهم أو الانسحاب. فاتحدوا مع شمر والظُفِير وقاموا بغارة عظيمة عـلى القبائل المجاورة الموالية لابن شعلان. وتولى قيادتَهم أبناءُ الشريفي السبعة. وكان مع الشريفي إذ ذاك، رجل من عشيرة الفْرِجة اسمـه (مِجِي) يعمل راعيـاً للإبـل. وفي الليل، بعـد ذهاب المحاربين، قال له الشريفي : « **أيُّ رويلى أنت يا مِجِي ؟ تتعشى مطمئنًا، وقومك معرضون للسّحق** ؟! ». فـأجاب مِجِي : « **المقـدر كائن** ». وبعـد أن فرغ من عشـائه اضـطجع، ومكث حتى نام القوم جميعاً، فقام ووضع الرَّجْلَ على أسرع النوق، وانـطلق بأقصى سـرعةٍ إلى قـومه، محذِّراً لهم، ومُحْبِطاً خِطة العدو. فأخفى قومُهُ قطعـانَهم في وادٍ آمن، وفتحوا أكيـاس الجلد التي أودعوها دروعهم، وتأهبوا للقتال. وكانت قـد لُفَّت على الـدروع أوراقُ نبتةٍ ذاتِ عَـرْفٍ قويٍّ تسمى (**جَعَـدِه**) حتى لا تُفْسِدَ قـطعُ المعدن الأكيـاسَ الجلدية، ولئـلاّ تـأكـلَ العِثّـةُ والأرْضَـةُ الجلد.

ولما لبس المحاربـون دروعَهم تَضَوَّع مـا حولهم بـرائحة الجْعَـدِه. وخرجـوا، بعد منتصف الليل، من مخيماتهم راكبين متجهين إلى بقعةٍ معينةٍ في الجهة التي توقعـوا أن يأتي الهجـوم منها، ثم نزعوا عن الإبل رحالها وأعادوها، وأخفوا الـرِّحال ـ بـالحاء ـ، واحتلوا الضخـور التي تكاد تحيط بحوضٍ ذي عشبٍ وفيرٍ إحاطة السِّوار بالمعصم.

وبعد شروق الشمس ساق الرعاة الرُّكاب ونحوَ مـائتين وخمسين بعيراً أخرى داخل هـذا الحوض ليرعوها. وصدحوا بأنشودةٍ مَرِحةٍ ليسترعوا انتباه عيون العدو.

اكتشف العيـون القطعـان، وأنْبأوا بهـذه الحقيقة أبنـاء الشْرِيفي السبعـة الذين أمـروا بأن تهاجمَ القطعـان. فامتـطى المحاربـون صَهوات جيـادهم بسرعـة خاطفـةٍ، وخرجـوا عَدْواً إلى الشِّعب المؤدِّى إلى الحوض. كانوا آتين من الجنوب الشرقي، وكـانت الريـح هابَّـةً من الشمال الغربي. وعند دنوِّهم من الشِّعب صاح بـأبناء الشْـرِيفي السبعة شَمَّـرِىّ يمتطى جـواداً نشطاً :

« أشم رائحة (جْعَدِه) ! أشم رائحة (جْعَدِه) ! الفرار ! ».

ـ كذاب ! من أين لك أيُّ (جْعَدِةٍ) هنا ؟

ـ لقد أتتنى الريح برائحة (الجْعَدِه) ! الفرار !

ثم انحرف ولاذ بالفرار، وهرب معه مَشْلانُ أصغرُ الأبناءِ السبعة. وسار سائر الأبناء مع الكواكْبِه جميعاً ومعظمِ شمر والظفير عبر الشِّعب داخل الحوض، وثبتوا على متون خيلهم. وفي الحال احتل الرولة الشُّعب وسدوه، وأحاطوا بالعدو. وتلا ذلك قتال عنيف.

وكان الذين برز تميزهم في المعركة أكثر من سواهم من الرولة هم : الـدْرَيعي بن مشهور، ومِجْول آل مِجْول، وفهيد بن مْعَبْهل. وسقط أبناء الشْريفي الستة جميعاً صرعى. ولم ينجُ من سائر الأعداء إلا بضعة محاربين التمسوا النجاة بالفرار على أقدامهم، لأنهم لم يكونوا يستطيعون الخروج على ظهور خيلهم بسبب الصخور.

وبعد أن تخلص الرْوله من الفارِّين، شدوا الرحال على نوقهم، وأغاروا على شمر والظفير الذين كانوا يحرسون الإبل والماء والمؤن. فلم ينجُ منهم سوى عشرة رهطٍ، وبات الباقون جميعاً بين قتيل وأسير. ولم يسلم من الكواكبة كلهم إلا مَشلانُ ابنُ الشريفيِّ الأصغر، فقد انطلق به شَمُّرِيٌّ على بعيره، الذي كان فائق السرعة، نحو مخيم أبيه. ولما دخل البيت قعد جانباً مع مشلان. وبعد برهة سأله الشريفي :

ـ ما الأخبار (العِلم)؟

ـ لا أخبار (ما من علوم).

ـ والله لئن لم تخبرنى بالأخبار لأقطعنّ رأسك الآن ! « **واللّهْ اليا ما عَلَّمْتِنِي لا قْطَعْ راسَك بالسيف !** ».

لم يُلْقِ الشريفي على ابنه مَشلان ولو نظرةً واحدة أو يخاطبْه.

وبعد أن قص الشمَّرِيُّ عليه القَصص، وأبلغه بأخبار نتيجة المعركة، قال : « **يا الشْرَيفي. ألا ترى حبيب عينيك ؟** ».

كان الشريفي صامتاً. وبعد قليل دعا زَوْجَةُ أُمَّ الأبناءِ السبعة جميعاً، والتي كانت قاعدةً وراء الحاجز، وقد سمعت الأخبار كلها. وسألها : « يا راعية بيتي ! أين مشلان ابنُك الأصغر ؟ »، فأجابت، وهي تنظر إلى مشلان. : « **لم نَحْمِلْ، ولم نَلِدْ، ولم يأتنا ابْنٌ اسْمُهُ مشلان!** ». « **لاحَمَلْنَا، ولا ضَنِينا، وْلا جانا وَلَدٍ اسْمِهْ مشلان !** ».

بَرِح مشلان منطقة الكواكْبه، ولم تقع عليه هناك عينُ أبدا. أما أُمُّه زوجة الشريفي فقضت نحبها أسىً بعد ذلك بقليل.

وقد أراد الكواكْبه وشمر أن يمحوا عار هـزيمتهم المنكرة وينتقمـوا . . فزحفـوا في العام التالي على الرْوله، وسيُقَرَّر في هذه الجولة نهائياً من ينبغي أن يحكم، لذلـك زحف الكواكبـة مع أسرهم وبيوتهم وقطعـانهم، وأقامـوا معسكر حـرب (مناخ) ضـد الرّولـة الذين كـانت بيوتهم قد ضـربت حول آبـار (**جَوْ مُغَيـرا**) و (**النـخُوعـا**) أو (**الخاوه**) شـرق مستـوطنـة سكاكا .

وقـد سبق أن احتل الـرولة الآبـار كلها، وأراضيَ واسعـةً نسبياً حـولها من قبـل . وقـام الكواكبة مع شمر بعدة هجمات على حي الرولة، لكنهم كانوا يُصَدُّون في كل مرة .

أما النّرَوَلة الذين كانوا تحت إمرة القائد (عقيد الحرب) المشهور فهيد بن مْعَبْهل، فلم يكونوا يقومون بهجوم أبداً، بل يضغطون على خصومهم، ويـدنون منهم شيئـاً فشيئاً حتى لم يعـودوا قادرين عـلى الاستقاء من أى مكـان . ولم تقتصر مقاسـاة الظمـأ على الحيـوانات بـل شملت الناس أيضاً . وقد عانى النساء والأطفال بخاصة . وكان الكواكبة يقدمون بعيراً لقـاء الدلو الواحد من الماء (**نحو عشرة لترات**)، وكانوا ينحرون الإبل، وينتفعون بما في أجوافها من ماء .

وكـان للشريفي ابنـةٌ اسمها (قُـوتْ) جمعت بين الحسن والجـرأة . وقد قـررت، بعد أن استشارت نساء الكواكبة الأخريات، أن تذهب (**بوجه**) أمير العـدو فْهَيْدْ إلى بئـر (**مُغيرا**) طلباً للماء . فأعدت النساء القِرَبَ ووضعنها على الجمال، وركبن إلى بيت الشَّريفي لِيَصْحَبْنَ ابنته قُوتـاً في رحلتها المغـامِرة . فلما استـوت على متن بعيـرها هتفت : « يـا فْهَيَد، يـافْهَيد، **فلتعلم أنني أركب (بوجهك) تحت حمايتك** » . وكـانت النسوة اللواتي يـرافقها يـرددن هذه الكلمات بعدها . ولما رأى حراس الرّوَلة أن أكثر من ألفِ ناقةٍ تدنو، تقودها أمرأة، وتركبهـا نساء، نَسُوا، لفرط دهشتهم، إبلاغ قادتهم بالخبر، وانتظروا ليروا ماذا يجرى .

ولما دنت قوت بحيث بـاتت على مسمـع من القوم هتفت : « يـافْهَيَد، يـافهيَد، فلتعلم انني اركب (**بوجهك**)! « **يافْهَيَد تراني بْوَجْهَك !** » . فسمع الحراس ذلك . وانـطلق الفِتْية الصغار منهم نحو الإبـل المقبلة، وعلى الـرغم من صوت كبـارهم المحذِّر، قبضـوا على خيـر الإبل والنساء القاعدات عليها . وانطلق من المخيم شبان آخرون، وخـلال ساعـة أصبحت حاشية قوتٍ كلهّا غنيمةً لمحاربين شتى .

لم يك فهيدُ حاضراً في المُعَسكر، فقد خرج في جولةٍ على المنطقة المحيطة به.

ولما سمع عبْدُه المُسِنُّ قوتاً تعلن أنها ركبت (بوجه) فهيد، وضع سُرْجاً على أسرع جوادٍ لديه وامتطاه، وانطلق ليلتمس سيده، فلقيه غير بعيد لأنه كان عائداً لِتَوِّه.

وما أن علم فهيد بأن قوتاً قد ركبت (بوجهه)، وأنها تعرضت للنهب والسبي حتى استولى عليه غيظُ شديدُ وخَنَق، وأطلق صيحة حربٍ مدويةً معلناً أنه سيُحرق قبل شروق شمس اليوم التالي، كلَّ بيتٍ يجد عنده إبلاً لحاشية قوت. ومن يرغبْ في النجاة من هذا العقاب عليه إحضار ما سرق من أباعر مع كامل عدتها، وما سَبَى من نساءٍ، أمام بيته قبل أفول الشمس.

وركب قوم فهيد وعبيده، دون تريث، وطافوا بالأحياء، وأعلموا الناس بما طلب.

ومضى فهيد نفسه هو وأكبر عبيده إلى البيت الذي تقيم فيه الأسيرة قوت. وأمر أن يُشَدَّ الرَّحْلُ على ناقتها، وطلب منها أن تحلَّ ضيفاً عليه، وقادها نحو بيته، حيث خصص لها فيه أحسن مكان.

وبناء على أمره، ذبح عبيده خمسة جِمالٍ، وأعدوا وليمة عشاءٍ كبرى لقوتٍ ولكل صَحْبِها من النساء اللواتي اجتمعن بها قبل غروب الشمس.

ولم يفقد بعيرٌ واحد، ولا قِربة واحدة، ولا رَحْلٌ واحد. وقام عبيد فهيد وأقاربه يسقون الإبل، ويملأون القرب اللَّيلَ كله، وبعد غروب الشمس أخذها النساء، ومضين راكباتٍ مع قوت إلى أُسَرِهِنَّ العطشى.

وقد رافق فهيدُ قوتاً حتى باتت على مرمي حجرٍ من بيت أبيها.

وكان الماء المجلوب كافياً لخمسة أيام. وبعد ذلك شرع الصِّبْية يبكون من جديدٍ طلباً للماء، وتهاوت إبل كثيرةُ فَتِيَّةُ عَطشاً. فطلب النساء من قوت أن تذهب ثانية من أجل الماء، لكنها لم تستجب، ودعت إلى عقد السلام مع الرّوَلـه. وتحت إصرارها بعث كبار الكواكبة رسولاً إلى فهيد يحمل طلباً للسلام، وقدم للرّوَلَة نصف قطعانهم، فوافق فهيد، وتُوُصِّل إلى حل سلمي.

وتعرف هذه الحرب العنيفة بـ (مناخ الضِّيرِيَن) أي: معركة المجاعتين.

أما شمّر، حلفاء الكواكبة، فلم يقبلوا الاتفاق، وهددوهم بالحرب فقرر الشريفي عندئذٍ أن يعترف بسلطة الرّوَلة وينضم إليهم أنضماماً تامًّا. وتزوجت ابنته قوت فهيداً، وأقام كواكبَتُه مع الرّوَلة في حي واحد.

وظل بيت الشّريفى بعد انتقال قوتٍ إلى فهيد بلا امرأة مسؤولةٍ عنه. لذلك وضع الجواري تحت إمرةِ أرملةِ مُحاربٍ شَمَّرِيٍّ كان قد سقط في الميدان. جاءت الأرملة لبيته بأرزاق كثيرةٍ . . زُبْدٍ وتمرٍ وأُرْز، وقالت له:

- تزوجني وسأخدمك ليل نهار.
- حسناً سارى.

وكانت المرأة الشمرية تصنع له وجباتِ طعامٍ شهيةً، وتنظم البيت، وتحثه على التزوج بها. لكنّ الشّرِيفى تجنبها. ولما كان مخيماً مع الرّوَلّة في **(النقره)** إلى الجنوب من دمشق، جاء بغتةً بفتاةٍ من أقاربه **(بنت عمٍّ له)** وأدخلها بيته. ولم تَفُهِ الأرملة الشمرية بكلمة؛ لكن لما اضطجع الشريفى، في اليوم الثاني، في وقت القيلولة الحار، أخذت مدية وجبّت بها مذاكيره، ثم فرت إلى بيت بعيدٍ حيث طلبت الحماية **(دْخَلَتْ عَلَيه)**. فرافقها صاحب البيت إلى قافلة كبيرة ماضية نحو نجد، ووصلت أهلها سالمةً.

وتدلُّ سيرة الرّوَلَة التاريخية أن قسم **(ضَنَا مِسْلم)** كانوا قديماً مقيمين في ضواحي خيبر، حيث ما برحوا يملكون نخيلاً **(جِلال)** في وادي **(الجْلاس)**. ويقال إنهم انتقلوا من هناك إلى الشمال. وكانت أول قبيلة تهاجر هي **(الـحْسِينهْ)** التي ينحدر شيخها من عشيرة ابن مِلْحِم؛ وقد وكلت إليه إدارة طريق الحج من دمشق حتى العِلا، وكان يتسلم من الحكومة مبلغاً كبيراً من المال لقاء ذلك. وما فتئت عدة أسرٍ من **(وِلْد سْلَيمان)** و **(وِلْد علي)** تملك نخيلها في واحة خيبر. وللسراحين التابعين لقبيلة الـسّبَعَـه، والذين يخضعون لشيخ عشيرة **(أبو شامة)**، فلاحوهم هناك.

وكان قائد الرّوَلَة (شيخ الشداد) في أوائل القرن التاسع عشر من عشيرة **(السوالمه)**، **وكان اسمه الدّريعي بن جَنْدَل**(٦).

وقد آزر بطن ابن بُنَيّهْ من عشيرة المُرْعظ الرويلية الوهابيين (كذا) الذين انتصر الأمير محمد بن علي على خصمه عبدالله بن رشيد بمعونتهم، وأخرجه من مستوطنة حائل مدةً. وتملك أسرة اِبِنْ بنيّهْ آبار **(الهِيكِة)** و**(الشّقيق)** الهامة.

ولما تبعث ذلك ثورة عامة ضد الوهابيين **(كذا)** أبلت عشيرة ابنُ شعلان من المُرْعَظ بلاءً حسناً. وكان على رأس العشيرة نايف، وهو ابنُ لعبدالله بن شعلان الذي أخذ القيادة من عشيرة ابن جندل في الحرب، وكان له سبعة أبناء ماتوا جميعاً ميتاتٍ عنيفةً، وصار الشيخَ العامَّ بعد وفاة **(حمد)** الذي خلف ابناً واحداً هو **(سطام)**.

وقد كسب فيصلُ، الابنُ السادسُ لنايفٍ، شهرةً طبقت الآفاق. وثبّت سلطة الرّوَلَة حتى جنوبي دمشق في إقليم **(الجِيَدور)**، أو، كما يقولون، في **(النقره)**. وحارب **(وِلْد علي)** تحت قيادة محمد بن دُوخِي بن سمير. وقد، شاء عدد من شيوخ قبيلة الرّوَلَة مثل ابن مِعْجل، وابن جندل، وابن مُجَيد أن يتحالفوا مع **(وِلْد علي)**، **لكن فيصلاً أحبط خططهم، وقتل قائدهم** بَرْجس بن مشهور عام ١٨٥٩م بيده، وسرعان ماهزم حلفاء محمد عن بكرة أبيهم بعد ذلك قرب مستوطنة بُصْرَى.

ولم يكن فيصل يتوقف عن شن الحروب، وكان ينتصر فيها، فأمسى سيد شمال بلاد العرب الأكبر، غير أنه لقى مصرعه في **١٤ يناير سنة ١٨٦٤م**، على يد طالبي ثأر برجس **(بن مشهور)**، وهما أخوه نهار، وابن أخيه حمدان⁽٧⁾.

وكان الشيخ العام الآن **[أي بعد موت فيصل]** هو طلال بن فيصل. وكان القائدُ العسكريُّ حمَدَ بْنَ بْنَيَّهْ. وقد تميَّز تميُّزاً فريداً بين المحاربين سطام بن حمد بن شعلان، وهزاع بن نايف السابع والأخير. وكانت زوج هزاع هي ثَقْلا ابنة الشيخ فايز بن جندل، التي ولدت ابْنَيْهِ النوري و**(فهد)**. أما ابنُه محمد فأنجبته أمٌّ أخرى. وبعد وفاة هزاع تزوج سطام أرملته التي أنجبت له مشعلاً فيما بعد. وتزوج سطام بن حَمَد، عن حبٍّ، **(تُرْكِيَّهْ)** وهي من أسرة **(اِبن مْهِيَد)** التي انحدر منها شيخ مشايخ الفدعان. لقد ولدت له ولديه **(خالد)** و**(ممدوح)**. وفي شتاء عام ١٨٧٧ — ١٨٧٨م كان سطام قد أضحى شيخاً عامًّا لمشايخ الرّوَلَة⁽٨⁾.

وتوفى سطام عام ١٩٠٤م، وقد نَصَبَ فَهَدَ بن هزاع خليفةً له، لكنه اغتيل، على أية حال، بتحريضٍ من أخيه النوري⁽٩⁾.

• النُّورِي بن شَعْلان •

يسمى الرّوَلَة رئيسهم العام، أو أميرهم **(شيخ)**، و **(شيوخ)**، أيضاً. وقد يسمع المرء عبارة **«طَبّيت على الشيوخ وهو كان نايم»** أي: أتيت الشيخ وكان نائماً.

والشيخ العام النُّوري بن شعلان يعلن الحرب، ويعقد الصلح، ويتكفل، تحت نظام الحكم التركي، بالضريبة التي تطلبها الحكومة من الرَّوَلَة خلال إقامتهم السنوية في النُّقره. وقد دفع في عام ١٩٠٧م مبلغَ ثلاثةِ آلافٍ وخمسمائةِ ليرةٍ تركية (**١٥٧٥٠ دولاراً**)، وفي عام ١٩٠٨م مبلغ ألفي ليرة تركية (**٩,٠٠٠ دولارٍ**) فقط لأن عشائر عديدة من قبيلة الكواكبة هاجرت إلى العراق.

وكان النورى يزيد الضريبة النصفَ، ويوزِع النصفَ حصصاً بين مختلف الشيوخ الذين يزيدونها، بدورهم، ويَجْبُون من مالكي بيوت الشَّعْر المختلفة حصتهم حسب عدد إبلهم.

وبعد حينٍ، كان يخرج النوري، أو ابنُه، راكباً مع عبيده إلى مختلف الشيوخ، ويجبي الضريبة. ويعاقَب الذين يهربون ولايؤدونها، إذا قبض عليهم، بأن يغرَّموا بعيراً. وكان الأمير يحوِّل الضريبة المجبية بموعدها المحدد إلى الحكومة، ويحتفظ بالنصف الذي أضافه. وكان يدفع، من هذا المبلغ، مخصصاتٍ إلى أفراد الأسرة الحاكمة وبعض الشيوخ، فوزعت المبالغ التالية:

- **لخالد بن سطام ١٥٠ ليرةً تركية (٦٧٥ دولاراً).**
- **لِعَذُوب بن مِجْوَل ٢٠ ليرة تركية (٩٠ دولاراً).**
- **لفهد بن مشهور ٥٠ ليرة تركية (٢٢٥ دولاراً).**

وكان يُبقي لنفسه مائة وخمسين ليرة تركية (٦٧٥ دولاراً) في الأقل. وكان يبيع، بالإضافة إلى ذلك، ثلاثة جيادٍ أو أربعةً، وثلاثين أو أربعين بعيراً سنوياً.

ويشتري الأمير لخيله، التي يتراوح عددها بين ثلاثين وخمسة وثلاثين، خمسةَ أحمالِ شعير، ثمنُ كل حِمْلٍ ليرة تركية واحدة (**أربعة دولاراتٍ ونصفٌ**)؛ **ويشتري أربعين حِمْلَ دقيقٍ لضيوفه وعبيده وأسرته، سعرُ الحِمْلِ الواحد أربعين مجيدية (٣٦ دولاراً)**؛ وعشرين حِمْلَ قمحٍ، ثمن الحِمْلِ خمس عشرة مجيدية (**١٣,٥٠ دولاراً**)؛ وسبعةَ أحمالِ بُرْغل، ثمن الحِمْل ليرتان تركيتان ونصف (**١١,٢٥ دولاراً**)؛ وثلاثة أحمالٍ من الأرز، ثمن الحِمْل أربعُ ليرات تركية (**١٨ دولاراً**)؛ وحِمْلاً ونصفاً بُنّاً، ثمن الحِمْل مائة مجيدية (**٩٠ دولاراً**)؛ **وحِمْلين سُكَّراً، سعر الحِمْلِ خمسُ ليراتٍ تركيةً ٢٥ دولاراً**)؛ وزبدةً بخمس وخمسين ليرة تركية (**٢٧٤,٥٠ دولاراً**)؛ ومائةُ خروفٍ أو نعجةٍ، في الأقل لتؤكل، ثمن الواحدة ثلاثُ مجيدياتٍ (٢,٧٠

دولاراً)؛ وخمسة جِمالٍ، لتؤكلٍ ثمن الواحد منها عَشْرُ ليرات تركية (٤٥ دولاراً)؛ وملابس وأعطيةً لتكون هدايا لأسرته وعبيده تكلف مائة وثلاثين ليرة تركية (٥٨٥ دولاراً).

ولديه ثمانون بندقيةً. ويحتاج كل عام ستة آلاف طلقةٍ، في الأقل، من الذخيرة بما يساوي ما بين عشرة سِنْتاتٍ واثنى عَشَرَ لكل طلقةٍ.

ويكلف إصلاح البيوت وصيانة موادها وحبالها خمسين ليرة تركية (٢٢٥ دولاراً) سنوياً.

وعليه أن يرسل، من حين إلى حين، جعائل لشيوخ العشائر، وأن يطعم عشرين شخصاً يومياً في المتوسط.

ويعاقب الأمير الخارجين عن الطاعة أينما وجدوا وكيفما استطاع. فقد رحل، ذات مرة، (بْهَيْدِر) أحد شيوخ الفْرِجه مع عشيرته، لما حانَ حِينُ عَدِّ الإبل لتقدير العدد الذي ينبغي أن يُجبى من كل شيخ ضريبةً. فأرسل إليه الأمير النوري أن يحضر دون أدنى تلكؤٍ، لكنه لم يُعِرْ ذلك أذناً صاغية، ولم يأتِ إلى النوري من تلقاء نفسه إلا بعد ستة أشهر، فَقُيِّدَ حالما وصل بقيودٍ كقيود أيدى الخيل ولبث مقيداً شهراً تامًّا.

وتضطر القبيلة الأضعف إلى الإعتراف بتفوق القبيلة الأقوى، وتؤدي لها ضريبة خاصة تعرف به بـ (الخُوَّه). ويجبِي الرّوَلَة الخُوَّةَ من (هْتَيْم) كلها، ومن سكان قرى كثيرةٍ مختلفةٍ أيضاً. وكلما كانت الحكومة أقوى قلت القرى التى تؤدي لهم (الخُوَّة). وتؤدي (القريتين) و (تُدْمُر) و (السُّخْنَه) و(كَـرم) و(الطِّيبه) الخُوَّة بانتظام.

ولكل مستوطنة وقبيلة مؤدية للضريبة أخوها (أخ) أو (خاوِي) عند الرولة، تؤدي له نحو خمس وعشرين مجيدية سنوياً. والأخ ملزم بأن يعيد للمستوطنة الممتلكات التي نهبها رجال قبيلته منها كلَّها. وأصل (الخُوَّه) هو (القُوَّه). ويجبر الأقوياء مستوطناتٍ عديدةً على أداء الخوَّة لهم. وأما أولئك الذين لا (أخ) لهم فعليهم الاعتماد على السيف المشهر (سيفٍ طايل) وحده.

ويجب أن يَحْمِي من يتسلمون الخُوَّة أولئك الذين يؤدونها إليهم. أو، كما يقول الرولة : « اللىِّ يا كِلْ الجدِى يَحْمَى أُمَّه » أى : من أكل الجدى حَمى أُمَّه.

● التعليقات ●

★ هذا هو الفصل الثالث من كتاب (أخلاق عرب الروله وعادتهم) الذي يقوم الكاتب بترجمة القسم الأول منه عن الانكليزية، ويقوم بترجمة القسم الثاني الدكتور عبد الله على الزيدان. وقد نشرت (الدارة) الفصل الأول منه في العدد الثاني من السنة العاشرة، الصادر في المحرم سنه ١٤٠٥ هـ على الصفحات : ١٣٠ ـ ١٥٢.

(١) كلمة (**ولد**) قد يقصد بها (**فتى**) أو (**رجل**).

(٢) ترجم المؤلف العبارة هكذا : « بلادهم واسعة، ويطردون عدوهم بعيداً جداً عن حيهم ».

(٣) (رويلي) و(رويلية) هي النسبة السائرة لـ (رْوَلَه)، واستخدمناها مع أن الأفصح : رُوَلِّي، ورُوَلية.

(٤) ترجم المؤلف هذه العبارة هكذا: **«الأولون ـ أي الأعمام ـ يزودون [المرء] بالنشاط العضلي والقوة، والآخرون ـ الأخوال ـ أرحام»!!**.

(٥) من التقاليد المعروفة في البادية حماية المستجير. . ويتم ذلك عادة إذا أعلن أنه **(بوجه فلان)** فلا يمسه أحد بسوء. وإن أوذي أو استُولي على مال له تولى الجار عقاب من آذاه، ورد عليه ماله من مُغْتَصِبِه.

(٦) **Alois Sprenger**, Ein Beitrag zur Statistik von Arabien, in : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Vol. 17, Leipzig, **1863**, p. 226.

(٧) **Carlo Guarmani**, Il Neged Settentrionale, Jerusalem, **1866**, pp. 196-198.

(٨) **W. S. Blunt**, A Visit to Jebel Shammar (Nejd). New Routes through Northern and Central Arabia, in : Proceedings of the Royal Geographical Society, New Monthly Series, Vol. 2, London, **1880**.

(٩) **Alois Musil**, Arabia Deserta, New York, 1927, pp. 238-243.

●●●●●

• آل وأهل •

يقـول الرولـه إن قبيلتهم تعرف بـ (**قبيلة**) أو (**بِـدِيدة**) أو (**عشيـرة**) الرّولـه. ولكلمة (**عشيرة**) معنى (**بِدِيده**) أو (**قبيلة**) نفسُه. ويشار إلى العشيرة، وأحيـاناً إلى الأسـرة، بكلمة (**آل**) التى غـالبـاً مـا بدلت بهـا الأداة (**أل**)، مع أن كـل رويلى يعـرف معنى الكلمـة الأولى؛ وتدل كلمة (**أل**) عمـوماً عـلى ماتـدل عليه(**بِني**) أو (**اِبن**)، ومعنـاها أوسـع من معنى (**أهل**). ومعناها أوسع من معنى (**أهل**).

و(**فِرِيق**) هو الاسم الذي يطلق على جماعة من الأقرباء الذين ينحدرون من جدٍّ واحـد. و(**الفريق**) أوسع أيضاً من (**الأهل**).

و(**الأهل**) جماعة محددة بالنسبة للفرد وحسب، فأهـل الرجـل يختلفون عن أهـالِي أبيه أو ابنه (**مع أن الأهالي الثلاثـة في هذه الحـالة يضمـون أفراداً كثيـرين مشتركـين**). ويؤلِّف أهل الرجل خَلَفُهُ حتى الجيل الثالث ـ أى أبناؤه أو احفاده وأحفاد أبنائه ـ ويتضمون أيضاً سَلَفَه حتى الجيـل الثالث ـ أى أبـاه وجدَّه وجـدَّ أبيـه ـ، ومن ينحـدرون من هؤلاء الأسـلاف حتى الجيـل الثالث من كلٍّ.

والنسب معدودٌ عبر سلسلة الذكور وحسب. وإن أبعد الفروع التابعة لـ (**أهل**) المرء هم أبناءُ ابنِ عمٍّ أبيه.

وثمة طريقة ميسرة لتقرر فيما إذا كـان (**س** » من الأهل نفسهم الـذين منهم « **ي** » هي أن تعـد من « **س** »حتى الجد المشتـرك لكل من « **س** » و« **ي** »، ومن هنـاك تبدأ في العـد التنازلِي لـ « **ي** ». سيكـون « **س** »و « **ي** » من (**الأهل**) نفسهم شـريطة ألا يُعَـدَّ بين « **س** » و « **ي** » أكثر من ثلاثة أجيال أيضاً.

وتفسِّر فكرة (**الأهل**) هذه معرفة البدوى بِجـدِّ أبيه، في حيـنٍ من المرجـح أن يكون عـلى جهل تامٍّ بِجَدِّ جَدِّه.

وقد أخبرني رفيقي بْلَيِهان بالإيضاح التالي لأهْلِه هـو : « أنا ابن ضِـرِي الذي انحـدر من مِضْـرِب. خَلَّف (**ضِرِي**) داغـراً وصالحـاً. وخلف داغرٌ إبـراهيم و(**بَغْرِي**). وإبـراهيم أبى خلَّفني، أى بليهـان، وجِيعـانَ، وعَشْـوان، بينـما كـان أبنـاء بَغْـرِي هم : دَفْـران، وراشـد،